

## تحصينات واسط

### أسوار المدينة:

أحاط الحجاج المدينة بسور زيادة في تحصينها . وقد أشارت اغلب المصادر التاريخية إلى وجود سورين للمدينة ، فقد ذكر بحشل ان للمدينة سوران، كما ان الطبري ذكر اثناء حديثه عن حصار الجيش العباسي ليزيد ابن هبيرة في واسط ، ان اهل الشام كانوا (( لا يقتتلون الا رميا من وراء الفصيل )) ويفهم من هذا النص ان هناك فصيلاً يقع وراء السور الخارج ، وان حائط هذا الفصيل يعد السور الداخلي للمدينة وبذلك يكون للمدينة سوران بينهما فصيل.

اما ياقوت فيذكر ان لواسط سور واحد، وهو قول لا يمكن الاخذ به لأن المصادر التاريخية السابقة هي اقدم منه ، وانها أقرب عهداً ببناء المدينة وخصوصاً بحشل ( كما اسفلنا ) .

وتعد أسوار مدينة واسط ذات اهمية كبيرة في دراسة الاستحكامات الدفاعية للمدن الإسلامية ، ليس لانها اسوار اول مدينة محصنة في العصر الإسلامي فحسب ، بل لانها تمثل مرحلة متطورة في الاستحكامات الدفاعية ، ونقصد بذلك ظاهرة تعدد الاسوار ، اذ ان بناء سور لمدينة يعد مظهراً من مظاهر أستحكاماتها ، اما تعدد الاسوار فيعد مظهراً اخر من تلك المظاهر . اذ يخضع هذا المظهر الدفاعي لحسابات واعتبارات عسكرية ودفاعية تختلف عن تلك الاعتبارات المرعية في بناء سور مفرد ، ومن اهم وابرز تلك الحسابات ضبط التناسب في ارتفاع كل من السورين لارتباطه بعملية الرصد من فوق السورين ، وخصوصاً السور الداخل لذا يجب ان يكون السور الخارج ، بكل الاحوال ، أقل ارتفاعاً من السور الداخل لضمان عدم اعاقته لتلك العملية — أي الرصد — . كما يجب ضبط حساب عرض المسافة الفاصلة بين السورين او مايعرف بـ ( الفصيل ) ضمن حسابات مديات اسلحة الرمي الثقيل ( المنجنقات ) لدى المهاجمين بحيث يكون السور الداخل بمنأى عنها او خارج المدى المؤثر<sup>(\*)</sup> لتلك الاسلحة على أقل تقدير ، واذا كان هذا المظهر الدفاعي هو الاول من نوعه في العصر الاسلامي ، الا انه لم يكن وليد العمارة العربية الاسلامية ، فقد عرفت العمارة العراقية القديمة هذا المظهر منذ الالف الثالث قبل الميلاد ( عصر فجر السلالات ) اذ ظهر في اسوار مدينة الوركاء . واستمر في العصور التاريخية اللاحقة ، حتى قبيل الاسلام ، اذ ظهر بصورة جلية في أستحكامات مدينة الحضر ، مما يؤشر بشكل واضح عملية التواصل الحضاري في العراق عبر الحقب التاريخية المتلاحقة وخصوصاً في مجال الفكر العماري العسكري .

---

(\*) المدى المؤثر لأي سلاح هو اقصى مدى يتوقع ان يرمى فيه السلاح بدقة لايقاع الخسائر او العطب .

امين ، الفريق الركن محمد فتحي : قاموس المصطلحات العسكرية ، ص ٤٥٢ .

وعلى الرغم من تلك الأهمية التي تتصف بها أسوار مدينة واسط ، إلا أننا لا نمتلك معلومات تاريخية وافية عن شكل تلك الأسوار وارتفاعاتها وامتداداتها ، سوى ما ذكره الطبري من أن السور الخارج كان مدعماً بالأبراج دون ذكر عددها أو هيئتها.

أما على صعيد التنقيبات الأثرية التي أجريت في خرائب هذه المدينة ، فقد جاء في تقارير بعثة التنقيبات التابعة لمديرية الآثار العامة بأنها عثرت على نصف دائرة من حطام الآجر المبعثر تحيط بأطلال المدينة من الجهات الثلاثة الشمالية والغربية والجنوبية الغربية وتبعد عن إطلال المدينة ما يقرب من الكيلومتر الواحد . وقد تبين للبعثة أن هناك نقاطاً متعددة تحتوي على جدران من الطوف يتراوح سمكها بين ( ٤ - ٨ م ) . أما سمك هذا الجدار عند جهات المدخل فيتراوح بين ( ١١ - ١٢ م ) . أما الجزء الظاهر منه على سطح الأرض فيتراوح بين ( ٢ - ٣ م ) . ويخترق هذا الجدار بين مسافات متفاوتة نوع من المجاري الخاصة المشيدة بالآجر تشييداً محكماً على ارتفاع يقرب من المترين . كما عثرت البعثة على طلعات ودخلات مشيدة بالآجر ، ربما كانت تشكل أبراجاً لهذا السور . وينتهي هذا الجدار عند ضفة دجلة بمسافة تبعد عن آخر أطلال المدينة بنحو ( ٥٠٠ م ) شمالاً . أما في الجهة الجنوبية الغربية فإنه ينتهي عند الجدول القديم الذي يبعد عن أطلال المدينة قرابة ( ٥٠٠ م ) جنوباً . وقد قام سكان المنطقة الحاليين بزراعة الأرض التي فيها هذا الجدار ، لذا فإن آثار التخریب واضحة فيه من جراء عمليات حرث الأرض.

لقد أطلقت البعثة التنقيبية على هذا الجدار بصورة مبدئية اسم ( سور المدينة ) ، ومما يؤسف له حقاً أن التنقيب لم يستمر في هذا الجدار ، فلو تأكد لنا حقيقة أن هذا الجدار هو السور الخارج لمدينة واسط ، لأمدتنا البعثة بمعلومات نادرة وفريدة عن نتاج العمارة العسكرية العربية في أدوارها الأولى الغامضة ، كما إن اكتشاف هذا السور سيكون من الأحداث المهمة في مجال العمارة الإسلامية لأنه سوف يكون السور الوحيد في العالم الإسلامي الذي يرتفع بهذا المقدار والذي يعود إلى تلك الفترة الزمنية المتقدمة ، كما أنه سوف يهدينا إلى شكل المدينة الذي أمسكت المصادر التاريخية عن ذكره.

### مداخل واسط

تكتسب مداخل مدينة واسط أهمية كبيرة في دراسة الاستحكامات الدفاعية كونها أول مدينة إسلامية مسورة في العراق ، وعلى الرغم من هذه الأهمية إلا أن المصادر التاريخية تغفل عن ذكر معلومات وافية عنها . فنحن لا نعلم بالضبط عدد مداخل هذه المدينة ولا مواقعها والمسافة بينها ، ولا تصاميمها . ولم تزودنا تلك المصادر إلا بأسماء عدد من هذه المداخل وهي : باب المضمار باب الزاب ، باب القورج ، باب الخالين باب البصرة ، وباب الفيل.

ويبدو ان مداخل هذه المدينة كانت حصينة ، وزيادة في التحصين فأن الحجاج قد وضع عليها أبواب حديدية كان قد نقلها من مدينة قديمة قريبة من موضع مدينته ، فقد ذكر الطبري ان نبي الله سليمان بن داود ( عليهما السلام ) (( بنى مدينة بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطا يقال لها الزندورد ، واتخذت الشياطين لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عمل مثلها فنصبها عليها ، فلم تزل عليها الى ان بنى الحجاج واسطا .... فنقل الحجاج ابوابها فصيرها على مدينته واسط ، فلما بنى ابو جعفر المنصور المدينة ( بغداد ) أخذ تلك الابواب فنصبها على المدينة )).

وعندما كتب كريسول عن واسط ذكر انه يعرف باباً واحداً من أبوابها هو باب المضمار ، ورجح ان هناك خمسة أبواب (( لان الحجاج صادر أبواب الزندورد والدوقرة ودار وساط ودير ماسرجان ..... وشرابط رغم معارضة سكانهم )) وقد استند في كلامه هذا على روايتي البلاذري وياقوت .

ويبدو ان كريسول لم يفهم ما جاء في هاتين الروايتين ، اذ لا يوجد في نص كل منهما ما يدل على عدد ابواب السور، فالبلاذري يذكر ان الحجاج نقل الى (( قصره والمسجد الجامع بواسط ابوابا من زندورد والدوقرة ودار وساط ودير ماسرجان ، وشرابط )) . وتوافق رواية ياقوت الراوية السابقة اذ يذكر : (( ونقل الحجاج الى قصره والمسجد الجامع ابواباً من الزندورد والدوقرة ودير ماسرجيس وشرابط )) . يتضح من نص الروايتين ان الابواب التي نقلها الحجاج من هذه المدن لم يضعها على سور مدينته ، كما ذهب الى ذلك كريسول ، وانما وضعها على ابواب قصره والمسجد الجامع.

أما بخصوص أعمال التنقيب ، فقد قامت مديرية الآثار العامة بأعمال التنقيب لعدة مواسم في خرائب مدينة واسط ، الا ان هذه التنقيبات جرت في مناطق من وسط المدينة ولم تشمل مناطق الاستحكامات ، كما انها لم تستمر لتستظهر لنا ما يكفي من معلومات حول أسوار هذه المدينة ومداخلها . الا ان الأستاذ المرحوم فؤاد سفر وضع مخططاً تصورياً لأسوار هذه المدينة وجعل مداخلها ذات محور منكسر ، واذا ما صح هذا التصور ، فان مدينة واسط تعد أقدم مدينة إسلامية ذات مداخل مزورة . وإذا ما قُدر لأعمال التنقيب أن تُستأنف فأنها حتماً ستميط اللثام عن الكثير من المعلومات في هذا الجانب .

### **أبراج أسوار مدينة واسط**

مع ان المصادر التاريخية قد أمسكت عن وصف أسوار مدينة واسط وأبراجها ، إلا انه يبدو من الإحداث التاريخية ان السور الخارج كان مدعماً بأبراج ، فقد أشار الطبري عند ذكره حادثة الحصار الذي فرضه ابو جعفر المنصور على واسط سنة ١٣٢هـ ( ٧٤٩م ) والذي استمر احد عشر شهراً ، والوالي الاموي يزيد بن هبيرة معتصماً فيها ، فقال : (( فأفتتلوا عند الخندق .... وابن هبيرة على برج باب الخلالين )) وهذا لا يعني ان الأبراج كانت تدعم المداخل فحسب ، بل من المنطق أنها كانت موزعة على طول السور زيادة في التحصين ، كما كان عليه الحال في سور بغداد الأعظم . ويؤكد ذلك العميد بقوله (( ان السور الخارج كان

مدعماً بأبراج مزودة بالمزاغل لرشق السهام ) ويؤيد ذلك باحث آخر حيث يذكر ان الحجاج قد أنشأ على الأسوار أبراجاً ومواقع للحراسة زيادة في التحصين. ولكن ليست لدينا اية معلومات عن عدد هذه الأبراج او وصفها او هيئتها.